المحاضرة الثامنة:

نماذج من القضاء في العهد الأموي والعباسي

أولا: القضاء في العهد الأموي.

في عهد خلافة بني أمية لم يختلف القضاء كثيرا عما كان عليه في المراحل السابقة، وبخاصة عصر عمر بن الخطاب من ناحية السلطة القضائية وتنظيم القضاء واختيار أفضل القضاة لتولية هذه المهمة.

كما أن السلطة القضائية كانت منفصلة عن السلطة السياسية والسلطة التنفيذية، وهذه أهم مميزات ومعالم القضاء في هذا العصر:

1. عدم تأثر القضاة بالسياسة والحكم: فقد كان القضاة مستقلين في أحكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة، بل كانت كلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج.
2. اعتماد القاضي على اجتهاده: فكان القاضي يستنبط الحكم بنفسه من الكتاب والسنة أو الإجماع، أو أن يجتهد في الحكم اجتهادا حسب قواعد الشريعة وأصولها.
3. ظهور مصادر جديدة للقضاء: وذلك حسب المدرسة الفقهية التي يتبعها القاضي في اجتهاده، ومن تلك المصادر العرف، وقول الصحابي، والاستصحاب..
4. بقاء السلطة القضائية في يد الخليفة: فقد كان الخليفة – بصفته الحاكم العام للبلاد– يراقب الأحكام القضائية، ويعزل القضاة الذين يرى فيهم شذوذا عن الطريق السويّ، ويستبدلهم بأحسن منهم سيرة وعلما.
5. تدوين الأحكام القضائية: ظهرت في ذلك العهد الحاجة إلى وجود سجلات تدون فيها الأحكام الصادرة عن القضاة، وذلك لكثرة المشاكل والمنازعات المختلفة كتناكر الخصوم في الرجوع عن أقوالهم.

* **من أشهر القضاة في العهد الأموي**: النعمان بن بشير، بلال بن أبي الدرداء، عبد الله بن عامر، أبو هريرة بالمدينة، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، إياس بن معاوية، الشعبي.. وغيرهم

ثانيا: القضاء في العهد العباسي

تطور القضاء في العصر العباسي كثيرا متأثرا بالسياسة، وأصبح الخلفاء يتدخلون في القضاء، حتى حملوا القضاة في كثير من الأحيان على السير وفق رغباتهم، ولهذا السبب بدأ كثير من القضاة بالاعتذار عن منصب القضاء رغم مؤهلاتهم العلمية، فقد روي عن أبي بكر الرازي اعتذاره عن قبول منصب قاضي القضاة بعد أن طلب منه ذلك مرارا.

ومن مميزات وخصوصيات القضاء في هذا العصر:

1. ضعف روح الاجتهاد الفردي بسبب ظهور المذاهب الأربعة، وأصبح لزاما على القاضي أن يصدر أحكامه وفق أحد المذاهب، كما اختلف القضاة في الولايات باختلاف هذه المذاهب.
2. ظهور منصب قاضي القضاة (وهو أشبه بوزير العدل في زماننا)، ويقيم في حاضرة الدولة، وقد تلقب القاضي أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة) بهذا اللقب لأول مرة في عهد هارون الرشيد.
3. تمتع القاضي باستقلالية الرأي، والهيبة والوقار.
4. اختصاص القضاة بزيّ رسمي يحفظ هيبتهم وتميزهم، وهي عمامة سوداء على قلنسوة طويلة.
5. ربما تطرق بعض الفساد لدى آحاد القضاة، ومنهم من اندفع لطلب هذا المنصب الخطير، لكن هذا لم يكن شائعا، الأمر الذي جعل بعض كبار العلماء يتردد في قبول منصب القضاء وقد يشترط شروطا مسبقة تكفل استقلاليته وكرامته.

* **من أشهر القضاة في العهد العباسي:** ابن شبرمة، ابن أبي ليلى، القاضي عبد الوهاب المالكي، الماوردي، أبو يعلى الفراء الحنبلي، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي..